الأدب صورة الواقع لا شيء آخر من كتب التاريخ

موسوعات التاريخ القائمة على أساطير السرديات لما مضى ليصبح عقيدة وحياة

وهب: الدنيا خمسة آلاف سنة وستمئة سنة وإني لأعرف كل زمان منها!

| إسماعيل مروة

الماضي بوقائعه مهما كانت غريبة ومتنوعة، عظيمة أم سافلة، يصل إلينا عبر وسائط عديدة، ولذلك حفلت المكتبات في العالم بكتب التاريخ، هذه الكتب التي تحاول أن تسرد وتنقل، وربما تعطي حكماً أو تتحاز لمصلحة أمر على حساب آخر، وغالباً ما يكون الميل لمصلحة السلطان في كل زمان ومكان، فالمؤرخ في النهاية موظف، يقوم بخدمة سلطان وزمن يحيا فيه وتحت خيراته، وهذا ما يعني بالضرورة، ولا مجال لرد الكلام بأن هذا المؤرخ الذي نجلّه اليوم ونقتفي أثره لم يكن أكثر من تابع لسلطان ينحاز إليه بأشكال عديدة.
فهل تفي كتب التاريخ بنقل الحقائق؟ وهل تمثل وعاء حقيقياً لما يجري؟

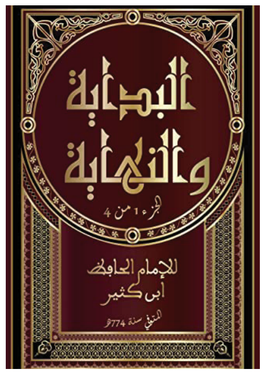

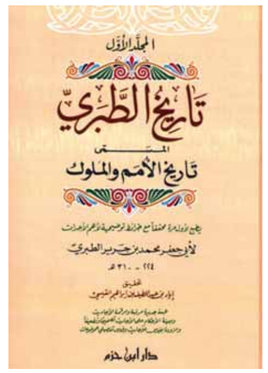

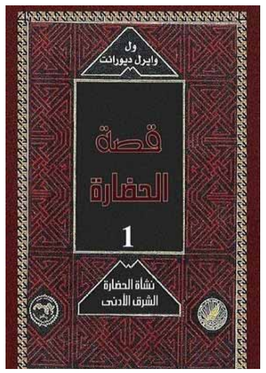

كتب التاريخ والخلق

حتى لا يكون الحكم ظالماً، فإن الحديث عن كتب التاريخ لا يقتصر على كتب التاريخ التي جاد بها المؤرخون العرب، بل من كتب التاريخ عامة، وبأي لغة كانت، وعن أي فكر صدرت، فالحديث التاريخي عندما يبدأ من المراحل الأولى لبدء الخلق كما يشيرون، ولمراحل تمتد لآلاف السنوات، لابد أن يخضع للنقل من المصادر السابقة، والتي نقلت بدورها عن ألواح ونقوش وما شابه ذلك، وعن الأساطير والخرافات التي لا تملك دليلاً، وفي الوقت نفسه لا يملك الواحد دليلاً على صدقيتها أو عدم الصدقية، ولكنها بالنقل والتواتر تحولت إلى مسلمات يؤمن بها ويصحتها الكثيرون، بما في ذلك العلماء الذين يأخذونها كما هي، وكم من قارئ وقف عند قصة الحضارة لديورانت وما تم نقله، وكأنه لا مجال لنقاشه، وأكتفي بمناقشة بعض كتب التاريخ العربية لأنها متاحة، ولأنها تمثل النموذج الذي يمكن دراسته.

المؤرخون العرب والمصادر

لابد من تحديد الفرق بين الكتابة التاريخية والكتابة الأدبية، فالكتابة الأدبية هي كتابة حياة، وكتابة مشاهدات ومعايشة، وقلّما تجنح الكتابة الأدبية عن تسجيل الحياة المعيشة، وإن فعلت فهي للتزميز والاستلهام والإسقاط وغير ذلك، أما هي في الأعم الأغلب فترتكز إلى النقل، ومنا نجد أن النصوص الأدبية من اليونان وإلى اليوم تتصف بالديمومة والقراءة الجديدة في كل مرة.
أما الكتابة التاريخية فهي التي تتسم بالجمع والانتقاط من المصادر والمراجع، فكل واحد ينهل من سابقه، وقد يشير إلى ذلك أو لا يشير، ولا يبتعد المؤرخ عن الأمر، إن كان غير مقتنع بها، ودليل ذلك ما جاء على لسان ابن كثير في مقدمته للبداية والنهاية:
«ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله بما لا يخالف كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب» البداية والنهاية 6/1
فهل كان أمراً لازماً أن يأتي على هذه الأحداث والأشياء، ليصرّح بشكل واضح إلى أنه ربما يعتمد الإسرائيليات، وهذا القارىء التوراتية، وإن وضع شرطاً لذكرها، وهذا الشرط غير متاح غالباً، ومثالنا في ذلك حديثه عن قصة إسحاق والخلاف حوله:
وفي قصة الذبح والاختلاف حول إذا ما كان إسحاق كما يرى اليهود، أو إسماعيل كما جاء في القرآن يذكر ابن كثير:
«وقال عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه هو إسماعيل، وقال ابن أبي حماد: سألت أبي عن الذبيح فقال: الصحيح أنه إسماعيل عليه السلام.» البداية والنهاية 134/1
قصة الذبيح هي قصة خلافية في كتب التوراة، ففي الإسرائيليات تنسب قصة الذبح للنبي إسحق، وفي الإسلام تنسب للنبي إسماعيل، وفي تفاصيل الكتب التاريخية، يرى التوراتيون أن إسحق فيه النبوة، وهو الذبيح أما إسماعيل فليس كذلك، وكل التفاسير المعتمدة على القراءة التوراتية تدع النبوة في إسحاق وبنيه، ولإسماعيل أمة جاءت من بعده، ونلاحظ أن كتاب التاريخ العربية تخضع الأمر للنقاش، كما ورد فيما ذكره ابن كثير!

مؤرخون خارقون

في الوقت الذي نجد المؤرخ يقع نهباً بين علماء «الجرح والتعديل»، ويُردّ عليه في كتبه نعثر على نصوص تضعهم في إطار الكرامات الخارقة التي تحولهم إلى أناس ملهمين صالحين يلهمون الآخرين، وفي مقدمة تاريخ الرسل والملوك، يذكر المحقق نقلاً عن الكتب قصة أقرب ما تكون إلى الخوارق، أحد أبطالها ابن جرير الطبري:
روى الخطيب البغدادي قصة طريفة وقعت لابن جرير في مصر، قال: جمعت الرحلة بين محمد بن جرير، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني بمصر، فأرملوا ولم يبقَ عندهم ما يقوتهم، وأضر بهم الجوع، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يسهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه سأل أصحابه الطعام، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة، فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة. قال: فاندفع في الصلاة فإذا هم بالشموع، وخصيٍّ من قبل والي مصر يدق الباب، ففتحوا الباب، فنزل عن دابته، فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل هو ذا، فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن جرير، فقالوا: هو ذا، فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة؟ فقالوا: هو ذا يصلّي، فلما فرغ دفع إليه الصرة وفيها خمسون ديناراً، ثم قال: إن الأمير كان قائلاً بالأمس، فرأى في المنام خيالاً، فقال: إن المحامد طوطا كشحم جياعاً، فائفذ إليكم هذه الصرار، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إليّ أحدكم» 9/1 المقدمة.
لم يسأل المؤرخ الذي ساق الخبر عن مصداقيته! كيف وصل إلى الحاكم؟ كيف صار الحلم والمنام سبيلاً للحياة؟ كيف عرف أنهم اقتربوا من الهلاك؟ من الذي جاءه في المنام؟ وكيف استطاع أن يعرف مكانتهم ومكانهم؟
أقل ما يقال عن هذا النص الأسطورة، ومع ذلك قبل وتم تناقله في كتب التاريخ، وها هو محقق الكتاب يذكرها دلالة على مكانة المؤلف صاحب التاريخ!
وفي الكتب الأدبية تصبح مثل هذه القصص غير مقبولة، وتتجاوز الخيال، ولا تقبل من الأديب بأي صورة كانت، وغالباً ما تحاكم النصوص الأدبية بالمنطق والواقعية، ومن هنا يمكن الاطمئنان إلى أن الكتب الأدبية من دواوين وخطب ومجالس ومن بعد روايات وقصص هي التاريخ الحقيقي لحياة الإنسان.

الحوادث التي سلفت

تسترعي انتباه القارئ الناقد في كتب التاريخ العربية أمور عديدة:
١- اعتماد طريقة الحديث الشريف في العنعنة ما يكسبها الجلال والمصداقية.
٢- ذكر رجال السند، ورد ذلك إلى مصدر محدد.
٣- التسليم بالخبر الوارد من دون أي نوع من النقاش للمبالغة الموجودة.
٤- تقديم ما قد سلف، كما لو أنه حقيقة واقعة تجري أمام الأنظار.
٥- الإقرار بالمعرفة التامة للرواة، وإن اعتمدوا ألفاظاً تدل على الأمور المحالة.
ولننظر إلى مقدمة ابن جرير الطبري لكتابه «تاريخ الرسل والملوك» مع ملاحظة أنه لا يروي قضايا أدبية أو سير شخصيات، وإنما يقدم كما فعل ابن كثير لحديثه عن الخلق وبدء الخلق.
– من لدن ابتدأ ربنا جل جلاله خلق خلقه.
– من انتهى إلينا خبره من مبتدأه الله تعالى.
– من رسول مرسل أو ملك مسلط.
– أنا ذاكره في كتابي هذا بذكر زمانه وجمل ما كان من حوادث للأمور.
هذه جملة الأشياء التي حددها المؤرخ الجليل، وكلها تتناول أموراً ماضوية سابقة حددها بابتداء خلق الله للناس، وقسم الناس إلى شاكر وجاحد، وفي كل هذه الحوادث لا يملك المؤرخ، أي مؤرخ سوى النص المقدس (القرآن) فماذا يختلف عن التفسير الذي قام به ابن جرير نفسه؟ الخلاف يكمن في أنه يستطيع هنا أن يقوم بالسرد، والسرد يحتاج إلى دعامات تعينه، وهذه الدعامات ليست سوى الكتب التوراتية السابقة التي تروي الأحداث بتفاصيل ليست في القرآن بحكم الإيجاز والبلاغة واختلاف الظروف.
«أنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان، من لدن ابتدأ ربنا جلّ جلاله خلق خلقه إلى حال فنائهم، من انتهى إلينا خبره ممن ابتدأه الله تعالى بآلائه ونعمه فشكر نعمه من رسول له مرسل، أو ملك مسلط، أو خليفة مستخلف، فزاده إلى ما ابتدأه به من نعمه في العاجل نعماً، وإلى ما تفضل به عليه فضلاً، ومن آخر ذلك له منهم، وجعله له عنده ذخراً، ومن كفر منهم نعمه فسلبه ما ابتدأه به من نعمه، وعجل له نقمهم، ومن كفر منهم نعمه فسلبه ما ابتدأه به من نعمه، وعجّل له نقمه... مقروناً ذكر كل من أنا ذاكره منهم في كتابي هذا بذكر زمانه وجُمَل ما كان من حوادث الأمور في عصره وأيامه». تاريخ الرسل والملوك /٦.

عارف كل شيء

ولابد أن نقف عند أخبار تمر مروراً، وهي ذات دلالة، فنحن في زمن المعرفة، ومع ذلك قد لا نجد مؤسسة أو موسوعة تحتوي كل شيء، ومع ذلك نجد في كتب التاريخ من يدّعي معرفة كل ما جرى وليس كل ما يجري، ففي الوقت الذي يسعى المؤرخ لمطابقة ذلك مع القرآن والحديث كما قال ابن كثير، فإننا نعثر على خبر يتعلق بشخص عارف لكل شيء ما مضى وما يجري، كما هو حال (وهب) الذي يذكر خبره الطبري.
– خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمئة سنة.
– أعرف كل زمان فيها.
– الدنيا ستة آلاف سنة.
«حدثنا محمد بن سهل بن عسكر، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهباً يقول: قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمئة سنة، وإني لأعرف كل زمان منها، ما كان فيه من الملوك والأنبياء، قلت لوهب بن منبه: كم الدنيا؟ قال: ستة آلاف سنة»
«كم قدر جميع الزمان» /١٠
فكيف يتهيأ لرجل واحد كل هذه المعرفة ليقول: وإني لأعرف كل زمان منها؟
حين قال الشاعر نزار قباني: فتاريخك يا مولاي تاريخ مزوّر، ولم يكن يخرج عن الحقيقة، فإن كان التاريخ قائماً على معارف أشخاص لم يعيشوا تلك الحقبة فماذا عن حال هذا التاريخ؟ إن كان المؤرخ شاهداً على الأحداث فإنه بتفاصيل ليست في القرآن يحكم الإيجاز والبلاغة، وإن كان يذكر ما سمع فكيف يتأكد من صحة ما سمع؟ وإن كان يذكر ما قرأ فكيف يتأكد من صحة ما قرأ؟ وإن كان يذكر ما رأى فكيف يتأكد من صحة ما رأى؟
ابن كثير: ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله!

عمل على تنمية موهبته وصقلها للوصول إلى النجومية

وسام رضا... متجدد في إطلالاته ومتنوع في مشاركاته

| مصعب أيوب

من مسلسل «ولاد بديعة»

من مسلسل «عاصي الزند»

تثبت الدراما السورية أنها معطاءة وولادة وتنبئنا سنوياً بولادة ممثلين مختلفين قادرين على تقديم أدوارهم ببراعة واحتراف على اختلافها، هو ممثل شاب ربما أخذ كثيراً من والده وتعلم منه ما يغني معرفته وخبرته وهو ما سهل دخوله في هذا المجال ليصقل موهبته ويؤكد ذاته لنلاحظ كل ذلك في شخصية الممثل الشاب وسام رضا.

مشروع نجومية

وسام رضا قادر على أن يحتفظ بألقه من دون الاكتراث للشكل أو للزينة، وهو ممثل يرقى إلى مستوى النجوم، إضافة إلى أن وجهه محبوب للكاميرا ونال استحسان المشاهدين بعد أن ظهر في عدة إطلالات درامية، وربما عليه اليوم أن يسعى جاهداً للحفاظ على ألقه باستخدام أدواته وخياراته متنقلاً بوساطتها إلى مراحل ونوعيات أخرى من التمثيل، فيشد الأحزمة عند كل دور على بساطته ويتهيأ لشكل الشخصية حسبما يألفها في مخيلته، مشتغلاً على حركاته وأسلوبه وردود أفعاله ومحيطاً نفسه بجوانب الشخصية نفسياً وفيزيولوجياً قبيل أن يبدأ بأدائها.
يقدم الممثل الشاب وسام رضا شخصياته بطريقة مدهشة، ويبني بأسلوبه الخاص مشروع نجومية تتضح شيئاً فشيئاً، مستخدماً أدواته ببراعة ليصل إلى الناس بكل سلاسة، ويتمتع بحضور مميز وأسلوب عفوي، يجد في التمثيل والمسرح الهواء الذي يتنفسه ومساحة خاصة للعب على أوتار الحكاية لأنه يتعامل معها بخصوصية وجمال عاليين، كما أنه دؤوب لإتقان كل الأدوات التمثيلية عبر البحث عن مفاتيح لهذه الشخصية أو تلك، فلا شيء يمكن أن يستعصي عليه، ليؤكد أنه ممثل له خصوصيته وتفرده في الأداء وتقمص الشخصيات التي يجسدها.

> دؤوب على إتقان الأدوات التمثيلية ومفاتيح الشخصية

شاب مراهق

واليوم يقف رضا أمام اختبار جديد لموهبته في التمثيل يخوضه أمام كاميرا سيف سيبي مال القبان ((يامن الحجلي وعلي وجيه)) ليقدم دور نعمان الزير ((بسام كوسا)) في مرحلة الصبا أو المراهقة ويخوض عدة معتركات مع تجار السوق المجاورين لمتجر والدته ((رسل الحسن)) في تلك الفترة، وأيضاً بعض الخلافات مع والدته ولاسيما أنه شاب في سن المراهقة وقراراته غير مدروسة أو صائبة وتضطر والدته ذات مرة لطرده من السوق ((سوق الجبر))، ليخوض عدة مغامرات يتعلم منها الكثير لكن عاطفة الأمومة تغلبها وتعيده إلى متجرها وتسلمه قيادة العمل وتسيير شؤون البيع والشراء ليشق طريقه من تلك اللحظات فيغدو اسماً لامعاً في سوق التجارة بمرور الأيام.

مصطلحات طريفة

كما يشارك أيضاً في ولاد بديعة ((يامن الحجلي وعلي وجيه وإخراج رشا شربتجي)) بشخصية سهيل السيكي الذي يعمل في مكتب سفريات بين سورية ولبنان تحت إدارة ياسين الدباغ ((يامن الحجلي))، وهو شاب في مقتبل العمر لاقت شخصيته ردود فعل إيجابية، وقد تداول رواد مواقع التواصل الاجتماعي بعض مصطلحاته وكلماته التي انتقاها للشخصية، فقد أضحكت شخصيته الكثيرين لرفقها بكثير من الكلمات المتميزة والفكاهية بعض الشيء ((يبرنس)) ((معك السيكي ويا نار مين يطفيكي)) مع صافرة لطيفة إضافة إلى بعض الحركات بيديه ورأسه، ومما تميزت به الشخصية بعض الإكسسوارات التي انتقاها رضا ومنها ما يستخدم للرقية ومنها لليد وبعض الخواتم في الأصابع.

تأنٍ واتزان

كما أنه شارك العام الفائت في الزند ((سامر البرقاوي وعمر أبو سعدة)) بشخصية يونس الذي يخدم في الجيش العثماني ويمتلك صوتاً رخيماً يجعل زملاءه ورؤساءه يطربون لسماعه، وقد ظهر في العمل مؤدياً مجموعة من مواويل العتابا التي تنتمي للبيئة التي يعيش فيها في المسلسل وقد لاقى دوره ذاك وغناؤه إشادات كثيرة من المشاهدين.
ولعل كل ما سبق يثبت أنه استطاع تغيير جلده والابتعاد عن النمطية، يحمل داخله أحلاماً كثيرة وأهدافاً يشتغل على تحقيقها، والشغف بفن التمثيل جعله يبحث ويفتش أكثر عن كل ما يصقل موهبته واليوم يشق طريقه بتأنٍ واتزان ولا يفضل القوالب الجاهزة ويبحث عن فرصة حقيقيّة يغني بها التجربة، ويحقق لنفسه رصيداً كبيراً، ومخزوناً غنياً، ليصعد في سلم الإبداع بحذر.

برجك اليوم 04/24

نجلاء قباني

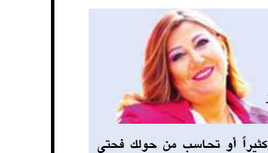

الحمل

اليوم للتحسن في وضعك العائلي وقد تفرح لخطوات مهمة على الصعيد المالي فأناديح يفرحك والاستقرار حولك يجعلك تشعر بالأمان وخاصة مع أصدقائك.
عاطفياً: اليوم للتغيرات ولتضع أسساً مختلفة لحياة جديدة ومستقبل أفضل.

الثور

قد تصطدم مع الشركاء لأنك تضع قائمة من الطلبات فلا تنفذ منها أي شيء وقد تشعر أحياناً أن من حولك من زملائك يتقربون تصرفاتك وهذا شعور بالتأكيد سيضايقك.
عاطفياً: قد تواجهك بعض الضغوط فحاول ألا تخسر أصدقاءك بسبب عصبيتك أو توترك.

الجوزاء

يوم مليء بالحماس وليس بالراحة وربما تأتيك مواقف لم تتوقعها وانتبه لصحتك فقد تتذكر اليوم شيئاً هو التمتع بالحياة لأنك تشعر بالتعب والضيق بسبب مشاغلك.
عاطفياً: أنت سعيد وتسرد الكثير من الأحداث وتفهم وجهات النظر من الشريك.

السرطان

أكمل مشاوراتك ولقاءاتك فأنت تزرع والحصاد آت وحظوظك مساعدة لجديد جو خاص يسعدك ويربطُ خاطرك الأيام كما عهد كم أنت اكتسبت خبرة وتجربة وكم تغيرت نظرتك إلى الأمور تأثيرك كبير.
عاطفياً: أنت مشغول بالأمور العائشية أو الأسرية وتتأثر أمورك العاطفية بحب وبثقة في النفس.

الأسد

لا توصد بابك في وجه من يتكلم بالعكس اسمعه وحاوره واهتم بما يقال حولك واسمع بهدوء ولا تعلق بكلام متسرع وحاول أن تسأل أو تستفسر عن كل أمر جديد يعرض عليك.
عاطفياً: تأجيل لأمر قررت فعله فاليوم متعب على صعيد الشراكات وعلاقات الزواج.

العذراء

أنت في بداية جيدة لانطلاقة جيدة في موسم صيفي حار تبذل فيه أقصى جهودك لتغير حياتك ولتثبت جدارتك ولن يتاح لك أي عذر عند أي تقصير ولا أظن أنك ستقصر.
عاطفياً: أنت محظوظ بمحبة الأصدقاء والشريك والظروف حولك تساعدك على إيجاد الحلول.

الميزان
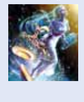
وجود الزهرة في موقع صديق سيجعلك الكثير من الأعباء في زيارات أو تواصل ولا أظن أن منزلك سيخلو من ضيوف أو زوار وهذا سيستدعي تنظيماً في أمورك المالية وجهاً صحياً.
عاطفياً: أنت سعيد وتذكر أنك تأخذ طاقة إيجابية من حولك أكثر مما تبثها أنت بنفسك.

العقرب

لا أشك أن الأمور العاطفية تؤثر إيجاباً على عملك وتنعكس إنجازات وكل ما يحصل حولك ينعش أمالك في مستقبل أفضل لذلك أطالبك جدياً بأن تبادر وتضع أمامك هدفاً تسعى إليه لأن الحظوظ مساعدة لكل هدف جديد.
عاطفياً: قد يساعدك بعض الأصدقاء في مهام موكلة إليك أو في تحولات أنت تطمح لها.

القوس

لا تحاسب نفسك كثيراً أو تحاسب من حولك فحتى الخطأ أحياناً يعلمنا ويجعلنا نشاهد جوانب فينا وفي من حولنا لم نكن لنراه لو لم نخطئ وهذا يجعلك مهتزاً ومن الداخل.
عاطفياً: أنصحك باتباع حدسك وقلبك واستشر الشريك أو صديقك المقرب ولا تكن عصبياً.

الجدي

تتعرف على أصدقاء في مناسبة مفرحة كولادة جديدة في حياتك أو ارتباط فأنت تترك انطباعاً جيداً لدى كل محيطك وتكشف عن مشاعرك الحقيقية جاعلاً منها واقعاً تعيشه وتسعد به.
عاطفياً: تستعيد نشاطك وحيويتك وتعتمد على أناس أكفاء لمساعدتك وقد تشعر بصفاء في علاقاتك.

الدلو

قد تتخذ مواقف حادة أكثر من اللازم فلا تعرض حياتك المستقرة للاهتزاز فقط لأنك جاد أكثر من اللازم وإذا أردت نصيحتي اسمع آراء الآخرين وجهة نظر الشريك دون أن تسمح للأحكام المسبقة أن تخرجك عن لطفك وهدوئك.
عاطفياً: لا تحمل الشريك مشاكل ليست بسببه ربما تكون أنت سببها وضع موافقك دائماً.

الحوت

تبذل جهوداً إضافية للحفاظ على جو منسجم فالرغبات التي تسكنك توشك أن تتحقق أو قفزات لم تكن تحلم بها فاليوم للتغييرات وأوقات مهمة تقضيها لتحسن أمورك.
عاطفياً: تعدك الأجواء بدعم كبير لمصلحتك وأظن أنني سأبارك لك بلقاء فأنت رومانسي.